مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد08 / العـدد: .02(2024)، صص199-215

السلطة والمجرمين عصر الحروب الصليبية:
دور الدولة والكنيسة والمجتمع في التصدي لأعمال اللصوص

Authority and Criminals in the Age of the Crusades:
The Role of the State, Church and Society in resisting Thieves' Actions

أ.م.د/ أشرف صالح محمد سيد *
أستاذ مشارك تاريخ وتراث العصور الوسطى -جامعة ابن رشد (هولندا)
ashraf-salih@hotmail.com

تاريخ الاستلام: .2021/.05/.06 تاريخ القبول: .2024/.06/.26

ملخص:

من الظواهر التي تدعو إلى الانتباه في عصر الحروب الصليبية، كثرة انتشار اللصوص، فمع أن الحركة الصليبية كانت حركة دينية، كما كان يدعي الجانب الصليبي؛ إلا أنه كان من أسباب الحركة الصليبية رغبة البابوية في التخلص من المجرمين الأوروبيين بإرسالهم إلى الشرق بحجة تكفير الذنوب، فأدى ذلك إلى انخراط الآلاف منهم في الحركة الصليبية على طول امتدادها الزماني والمكاني، فأصبحت بلاد الشام وسواحلها مرتعًا خصبًا لأعمالهم الإجرامية، هذا فضلاً عن أعمال اللصوص الشرقيين من السلب والنهب والسطو، فأدى ذلك إلى غياب الأمن والسلم بين الناس على اختلاف دياناتهم وأعراقهم خلال عصر الحروب الصليبية حتى في فترات السلم العسكري بين المسلمين والصليبيين. إلا أن سلطات الدولة الصليبية كان لها دور كبير في التصدي لهؤلاء المجرمين والقضاء على شأفتهم، كما بذلت الكنيسة ورجال الدين بها مجهودات كثيرة، للحد من نشاط وأعمال اللصوص.

كلمات مفتاحية: العصور الوسطى، الحركة الصليبية، بلاد الشام، اللصوص، الفرنجة.

Abstract:

One of the causes of the Crusader movement was the papacy’s desire to get rid of European criminals by sending them to the East under the pretext of expiation for sins. This led to the involvement of thousands of them in the Crusader movement, so the Levant and its coasts became a fertile breeding ground for their criminal acts. In addition to the actions of eastern thieves of looting and robbery, which led to the absence of security and peace among people of different religions and ethnicities during the era of the Crusades, even in periods of military peace between Muslims and Crusaders. However, the authorities of the Crusader state had a great role in confronting these criminals, and the church and its clergy made many efforts to curb the activity and actions of thieves. In addition to the societal role in curbing the thieves' actions.

Keywords:

Middle Ages, Crusader Movement, the Levant, Thieves, Crusaders.

---

* **المؤلف المرسل**

مقدمة:

كان للحج المسيحي بقصد التوبة قيمته العملية من الناحية الاجتماعية، إذ كان يرغم المجرمين وأصحاب الذنوب على الابتعاد عن المجتمع عدة شهور، أو عدة سنوات.(1)

وقد أدركت البابوية هذا المعني فحثت اللصوص والقراصنة والمجرمين على الانخراط في الحركة الصليبية. يقول البابا أوربان الثاني في المجمع الذي عُقد في كليرمونت سنة (488هـ/ 1095م): "ولتكن غيرتكم في هذه الحملة تكفيرًا عن السلب والسرقة والقتل التي بها آثرتم غضب الرب".(2) وفى رواية أخرى لخطاب البابا أوربان الثاني: "فليخرج أولئك الذين عكفوا حتى الآن على حروب خاصة ومغايرة للشرع، فجرَوا عظيم الخسران على المؤمنين، فليكونوا من الآن فرسانًا للمسيح، أولئك الذين لم يكونوا غير قُطاع طرق".(3)

فقد أرادت البابوية تصدير العنف الذي كان دائرًا في أوروبا إلى الشرق الإسلامي، بدلاً من تناحر المسيحيين فيما بينهم في أوروبا، فضمت الجيوش الصليبية أعدادًا كبيرة من المجرمين بمختلف أنواعهم، كل أولئك أتوا تحت شعار الحروب الصليبية، وتركزوا في الموانئ الساحلية لبلاد الشام.(4)

إن الحركة الصليبية لم تكن قاصرة على أمة أو دولة أو جنس معين، وإنما اشتركت فيها جميع أمم الغرب الأوروبي، واشتملت كذلك على عناصر من مختلف الطبقات، فكان فيها النبلاء وكبار رجال الإقطاع والفرسان ورجال الدين، وبجانبهم أعداد غفيرة من عامة الشعب واللصوص والمجرمين وقُطاع الطرق.(5)

كان قدوم اللصوص والقراصنة إلى الشرق الإسلامي مستمرًا في أوقات الحرب والسلم على حد سواء، يقول يعقوب الفيتري عن الأوروبيين القادمين إلى الأرض المقدسة:(6) "رجال خطرين مجرمين أشرار، لصوص، سارقين، قراصنة". هكذا انخرط اللصوص والقراصنة ومَنْ على شاكلتهم من المجرمين الأوروبيين في الحركة الصليبية سواء في أوقات الحرب وتجهيز الحملات، أو في أوقات السلم بين المسلمين والصليبيين، وأصبحت بلاد الشام ومياه البحر المتوسط مرتعًا خصبًا لكافة أنواع اللصوصية والقرصنة، التي مارسها المجرمون، ضد المسلمين وضد بني جلدتهم من الصليبيين، هذا فضلاً عن اللصوص والقراصنة الشرقيين، فأصبحت السرقة في عصر الحروب الصليبية ظاهرة اجتماعية خطيرة تدعو إلى الانتباه.

تكمن أهمية الدراسة في حصر الإشارات الواردة عن تصدي السلطة لأعمال اللصوص في المصادر التاريخية بهدف إبراز دور الدولة والكنيسة والمجتمع في الحد من الأعمال الإجرامية للعناصر المنحرفة ومقاومة اللصوصية وانتشار السرقات وقطع الطرق.

---

(1) قاسم، عبده قاسم، (1990)، ص28.

(2) ويندوفر، روجر أوف، (2000)، ج39/ ص13.

(3) بالار، ميشيل، (2003)، ص60.

(4) أحمد، عبد الله أحمد، (2016)، ص29، 62.

(5) يوسف، جوزيف نسيم، (1989)، ص133-134.

(6) الفيتري، يعقوب الفيتري، (1998)، ص134.

1-دور الدولة في التصدي لأعمال اللصوص

بدايةً تحدثت بعض المصادر التاريخية عن دور الدولة في التصدي للصوص بشكل عام. من ذلك، أن حاكم باريس (ستيفن بوالو Boileau) في عهد الملك لويس التاسع، أحسن الحكم في ولايته، فلم يعد يجرؤ على الإقامة بباريس مجرم أو لص أو سفاك، لإدراكه أن مصيره الشنق أو الإعدام إن فعل ذلك.[7] وكانت قلعة (جلون Rocche de Glun) تقع على نهر الرون بفرنسا، فأمر الملك لويس التاسع ملك فرنسا بهدمها، بسبب تعرَض صاحبها المسمى (روجر) للحجاج الصليبيين والتجار، وسلبهم ما معهم. ويقول المؤرخ الصليبي المجهول عن تصدي قوات الملك رتشارد الأول قلب الأسد للصوص في بلاد الشام:[8] "لقد كُتب لفرساننا النجاح في التغلب على عصابات قطع الطريق".

وعلى الجانب الإسلامي في تصدي الدولة للصوص بشكل عام، نجد أن بُلك الأرتقي، المتوفي سنة (518هـ/1124م)، عندما تولى حكم مدينة حلب، أعاد الأمن للبلاد، وكبح جماح اللصوص، وقُطاع الطرق الذين نشروا الرعب والخوف في أوساط المسافرين والتجار.[9] ونشر الأمير غازي الأمن في بلاده، وحارب وقضي على اللصوص وقُطاع الطرق.[10]

على الرغم من أن بعض المصادر التاريخية قد تحدثت عن تصدي الدولة للصوص بوجه خاص، في عبارات عامة، إلا أنه من خلال ما ورد في المصادر التاريخية الأخرى، يمكن حصر وسائل الدولة في التصدي للصوص في النقاط الآتية:

1/1-الحملات العسكرية والأمنية

في سنة (490هـ/1096م)، قام جيش المجر بتمزيق عصابات (فولكمار) أحد قادة الحملة الصليبية الأولي الشعبية، شرق ممزق أمام مدينة (نيترا Neitra) وكانت أول مدينة كبيرة يصادفها الصليبيون داخل المجر.[11] وكان هناك لص يُدعى (باكراد Pakorad) من الأرمن يسكن في حصن في ضواحي مدينة تل باشر، وكان الرهبان من الأرمن ممَنْ يسكنون الجبال المجاورة يعانون منه جدًا، فأخذ الدوق بلدوين معه خمسين فارسًا من جيشه، وخرج يقصد الحصن الذي يسكن فيه اللص باكراد، فهجم عليه بقوة في هجوم مفاجئ وحطَمه وأحرقه بالنيران، حتى أصبح أثرًا بعد عين.[12]

وعلم الملك بلدوين أن هناك قبائل من السودان تسكن في مغارات تحت الأرض بين عسقلان ومصر، وهذه القبائل تتعرض للحجاج القادمين إلى القدس وتسلبهم وتقتلهم، ولابد من إجراءات ضدهم، فقرر حصار هذه المغاور، فأشعل الحرائق حول هذه المغاور لكي يجبر المختبئين فيها على الخروج، فخرج حوالي مائتين وأربعين من المغاور،

(7) جوانفيل، جان دي جوانفيل، (1968)، ص305.

(8) مجهول، (2000)، ج1/ ص66.

(9) مجهول، المؤرخ الرهاوي المجهول، (د.ت)، ج5/ ص44.

(10) ميخائيل، السوري الكبير، (1995)، ج5/ ص143.

(11) قاسم، عبده قاسم، (1999)، ص134.

(12) آخن، ألبرت فون، (2007)، ج51/ ص122-113.

فأمر بلدوين بقطع رؤوسهم، لأنهم مجرمين كانوا يعتدون على الحجاج القاصدين المدينة المقدسة.(13)

ويقول المؤرخ الصليبي وليم الصوري عن جهود الدولة الصليبية في التصدي للصوص في بلاد الشام:(14) "كان قُطاع الطرق واللصوص قد أزعجوا هذا القطر – مملكة بيت المقدس الصليبية – كما بات الطريق الواصل بين الرَملة والقدس شديد الخطورة، لكثرة ما أنزلوه بالدروب والمسالك من الأهوال بسبب هجماتهم المتكررة. كما أنهم طالما أعملوا سيوفهم البتارة في المسافرين، فلما سمع الكونت بهذا، أمر بمطاردتهم في عنف لا يعرف الهوادة، وبتكديس مختلف المواد القابلة للاشتعال أمام مدخل الكهوف التي اختبأوا بها وإضرام النار فيها، مستهدفًا من وراء تلك العملية إرغام الفارين المختفيين في المخابئ على الاستسلام، وإلا ماتوا اختناقًا من ذلك الدخان الكثيف، وترتب على هذه الخطة أنه لم يعد المختفون داخل المغارات قادرين على تحمل حرارة اللهب ولا الجمر المُتَقد، ولا الدخان المنتشر في كل ركن وناحية، فاستسلموا بلا قيد ولا شرط للكونت الذي لم تأخذه شفقة بهم ولا رحمة، فأمر بقطع رؤوس مائة منهم في لحظة، فقُطعت، وكان ذلك عقابًا عاجلًا يكافئ جرمهم".

هذا، وقد جرَب الصليبيون نفس هذه الطريقة مع لصوص آخرين، يقول المؤرخ وليم الصوري عن إحدى التشكيلات العصابية في إحدى الكهوف بالقرب من الأردن ذلك:(15) "كان زعماؤنا يتلهفون لاجتثاث هذه الشرور، ومن ثمَ اقترحوا محاصرة الكهف، فاستدعوا أهل تلك الناحية قاطبة، وعبروا نهر الأردن بصحبة القوات الحربية، حتى إذا بلغوا وجهتهم نصبوا خيامهم فيما بين الأحراج الضيقة، ووضعوا القوات على شكل دائرة تحدق بالمكان المحاصر، وأخذوا يضايقون العدو بكل السُبل، وأطبقوا عليه كل الإطباق، لإرغامه على الاستسلام، أما اللصوص فاستعدوا من جانبهم وبكل ما أُتوا من مكر شرير للدفاع عن أنفسهم".

وفي سنة (575هـ/1179م)، اشتد خطر اللصوص وقُطاع الطرق على الصليبيين عندما كانوا يبنون قلعة وراء نهر الأردن في مكان يعرف عادةً بمخاضة يعقوب تحت إشراف ملك بيت المقدس، وقد بُذلت محاولات متعددة لاستئصال شأفتهم، ولكنها لم تفلح مما ترتب عليه ازدياد بأسهم كل يوم عن الذي قبله، حتى وجد الملك نفسه في النهاية غير قادر على تحمل سفههم الممقوت، ولا ما يرتكبونه من السرقات أو يقترفونه من الجرائم، لذلك استولى على الموضع الذي كانوا فيه على غرة منهم بقوة السلاح، وفتك بجميع مَنْ أمكن القبض عليه منهم، ومع ذلك فإن أغلب الذين علموا بما يُبيَته الملك لهم فروا بنسائهم وصغارهم إلى أرض دمشق، حيث تابعوا أسلوب حياتهم القديم، وكثيرًا ما كانوا يتسللون خلسة إلى أرضنا، وقد تحالفوا في هذا الوقت مع أقوام على شاكلتهم فكنوا يغيرون معًا على حدودنا – على حد تعبير وليم الصوري– واستشرى غضب المسيحيين عندما علموا أن رهطًا من هؤلاء القوم يهددون الطرق العامة أخطر تهديد، فنصبوا لهم الكمائن في أماكن استراتيجية، وكرَسوا جهدهم للقضاء على هؤلاء الأوغاد، وحدث في ذات ليلة من الليالي أن كان هؤلاء المجرمون عائدين بعد غزوة قاموا بها وجاءوا من ناحية جبال (زبولون) على نيَة الرجوع إلى المكان الذي قدموا منه، فإذا هم يسقطون في الكمائن التي نصبها لهم المسيحيون فحصدوا ما بذرته أيديهم،

---

(13) المصدر السابق: ج51/ ص190.

(14) الحروب الصليبية: ج2/ ص208.

(15) الحروب الصليبية: ج3/ ص172.

إذ أُلقي القبض على تسعة منهم، وقُتل أكثر من سبعة غيرهم.(16)

كان الجيش الصليبي يمارس أسلوب الكمين أيضًا في القبض حتى على لص واحد، ففي سنة (557هـ/1161م)، ظهر سارق إفرنجي في بغراس، وحاول الفرنج أن يقبضوا عليه، لكنه فرَ إلى نور الدين محمود، وانقلب من عنده في بعض الأتراك ليتلصصوا بضواحي مدينة أنطاكيا، فوضع له الفرنج كمينا قُبض عليه وأحرق بالنار.(17)

لم يقتصر أسلوب التصدي للصوص عن طريق الحملات العسكرية والأمنية على الكيان الصليبي، ولكن اشترك في هذا الأسلوب أيضًا الكثير من القادة المسلمين في بلاد الشام. من ذلك، أن ميخائيل بن قسطنطين الأرمني حاكم كركر كان يدعم عصابات اللصوص، فحذَره بُلك بن أرتق صاحب حصن خرتبرت، ولكن التحذير لم يجد، وكانت الشكاوي ترد إلى بُلك بن أرتق باستمراره حتى إنه لم يستطع الاحتمال، فجمع جيشًا عظيمًا من التركمان، ودخل أراضي كركر في المساء، فانتشروا كالطوفان خلال الأراضي، وأحرقوا البيوت والقري، وانزلوا الخراب بالمنطقة.(18) فتخلصت البلاد من اللصوص وقُطاع الطرق الذين عاثوا في الأرض فسادًا، ونهبوا الفقراء، وأخيرًا حلَ السلم، وذلك بفضل حملة بُلك بن أرتق العسكرية على كركر الأرمينية.(19)

وفى سنة (575هـ/1179م)، خرج السلطان صلاح الدين الأيوبي في جموع كثيرة من الجيش، حتى وصل حصن بيت الأحزان – التابع لبعض اللصوص الموالين للصليبين كما ذكر آنفا – فخيَم بالقرب منه، وخرَبه، وكان السلطان صلاح الدين قد بذل لهم في هدمه ستين ألف دينار، فلم يفعلوا، فزادهم حتى بلغ مائة ألف، فأبوا، ففتحة السلطان صلاح الدين الأيوبي في هذه السنة في شهر ربيع الأول.(20)

2/1-بناء القلاع والحصون

رصَع الصليبيون جميع الطرق الرئيسة والممرات بالحصون الصغيرة، والممرات التي كانت تشبه نقاط المراقبة أو نقاط الشرطة،(21) في العصر الحالي. كانت الحاميات العسكرية توجد في القلاع الأمامية، مثل قلاع ما وراء نهر الأردن، وتؤدي مهام الحراسة المسلحة بلا انقطاع،(22) وكان الساحل الفلسطيني والمدن الساحلية الواقعة عليه، محصنة عشية الحروب الصليبية، بالإضافة إلى بعض القلاع والحصون التي تحمي الطريق العام من مدينة دمشق، إلى معان – بالأردن – وطريق الصحراء عبر سيناء.(23) شيَد الصليبيون قلعة من الحجر الأصمَ ليؤمنوا عبر هذا الدرب طريق الحجاج الذين كانوا يتعرضون لأخطار جمَة بالغة أثناء اجتيازهم الممر الجبلي الضيق، إذ كان العسقلانيون قد اعتادوا مباغتتهم بالنزول عليهم منها. وسميت هذه القلعة بقلعة (أرنولد) وبفضل هذا الحصن أضحى الطريق أكثر أمنًا

---

(16) الصوري، وليم الصوري، (1991)، ج4/ ص228-229.

(17) ابن العبري، (1991)، ص175.

(18) مجهول، المؤرخ الرهاوي المجهول، (د.ت)، ج5/ ص39-40.

(19) المصدر السابق: ج5/ ص39-40.

(20) أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، (1997)، ج3/ ص36-37.

(21) براور، يوشع، (1981)، ص127.

(22) براور، يوشع، (2001)، ص98.

(23) المصدر السابق: ص31.

لسالكه، وأصبحت رحلة الحجاج من بيت المقدس أو إليها أقل خطورة من ذي قبل.(24)

من أهم القلاع الكبيرة التي شيدها الصليبيون، قلعة (مونتريال) أو الشوبك سنة (509هـ/1115م)، وقلعة الكرك، واستطاعت هذه القلاع القوية التي شُيِّدت في أماكن مفتوحة واسعة تقريبًا، أن تسيطر على طريق مرور القوافل التجارية التي كانت تحتاج دائمًا إلى أماكن وطرق يتوافر فيها الماء لكل من التجار والدواب، والحماية من اعتداءات البدو على هذه القوافل، وكانت هناك قلاع صغيرة صليبية لضمان الأمن للطرق العامة والمراكز الإدارية والضياع.(25)

كانت مدينة أريحا خلال عصر الحروب الصليبية محصنة من أجل مقاومة اعتداءات اللصوص والبدو.(26) أما مدينة صور فقد كانت مدينة جميلة لها خليج يتوسطها بين برجين عظيمين، تدخله السفن للرسو عند الميناء، وبين البرجين سلسلة حديد معترضة، عليها الحراس الأمناء، يربطونها في أول الليل، فيتعذر على سفن القرصان سبيل الدخول للسلب والنهب من البر أو من البحر، وليس في بلاد الدنيا ما يماثل هذا الميناء شأنًا.(27)

هذا، وأحيانًا كان يتم الاستعانة باللصوص المقبوض عليهم، في تشييد الحصون والأبراج التي كانت تستخدم أساسًا للتصدي للصوص، فعندما أعاد الملك ريتشارد الأول قلب الأسد بناء أسوار مدينة عسقلان، كان فيها برجًا يُسمى (برج الدم) وهو منسوب إلى بعض أهل الجرائم، الذين كُلِّفوا ببنائه جزاء ما اقترفوه من الجرائم والآثام، ومن ثَمَّ عُرف بهذا الاسم أو البرج الدموي، لأنه يُقال: إنهم افتدوا أنفسهم وصانوا دماءهم من أن تُراق فشيدوه.(28)

3/1 – سنَ القوانين والمحاكمات

بعد أن سمع الدوق (جودفري) حاكم بيت المقدس بانتشار السرقة، أصدر أوامره إلى الحجاج الصليبيين: أن كل مَنْ يسلب الماشية تترتب عليه عقوبة قطع الأذنين والأنف، ولهذا ابتعد الحجاج عن السلب والنهب.(29)

في انجلترا كانت هناك مشنقة مُعدَة للصوص،(30) ففي سنة (640هـ/ 1242م)، بعد أن قضي القرصان (وليم مارش) بعض الوقت في إحدى الجزر الإنجليزية متورطًا في أعمال السلب والنهب، جرى اعتقاله من قبل بعض عملاء الملك، وحمله إلى لندن، حيث سُجن، وجرت محاكمته مع ستة عشر من أصحابه كانوا قد اعتقلوا معه، وأُدين وأُدينوا، وجرى سحله أولاً، ولفظ أنفاسه على آلة المشنقة.(31) وكان من بين اللصوص الأخساء رجل اسمه (وليم) ولقبه بابا Papa، كانت لديه ثروات هائلة، ولدى فحص بيته بعد اعتقاله، وجدوا عنده في مستودعه حوالي الخمسة عشر برميلاً مليئة بالخمرة، وتم شنقه على الفور.(32)

---

(24) الصوري، وليم الصوري، (1991)، ج3/ ص101.

(25) براور، يوشع، (2001)، ص342 – 350.

(26) براور، يوشع، (2001)، ص347.

(27) التطيلي، بنيامين، (2002)، ص238.

(28) مجهول، (2000)، ج2/ ص139–140.

(29) آخن، ألبرت فون، (2007)، ج51/ ص153.

(30) باريس، متي، (2001)، ج40/ ص164.

(31) باريس، متي، (2001)، ج40/ ص512.

(32) باريس، متي، (2001)، ج40/ ص1047.

وكان من الشرائع التي سنَها الملك لويس التاسع –ملك فرنسا–أثناء مكوثه في بلاد الشام، عقب هزيمته في الحملة الصليبية السابعة على مصر، والتي تهدف إلى إقرار السلم بين الأهالي، تتلخص في ألا يسرق أحد حوائج غيره، وإلا كان جزاؤه قطع يده.(33)

وفى داخل المدن الصليبية، عيَن الصليبيون ممثلاً عنهم يُدعى (الفيكونت) كانت مهمته تتلخص في الإشراف العام على الأسواق في المدن الصليبية، وفى إقرار الأمن في شوارع المدينة، وكان يساعد هذا الفيكونت، المحتسب ورفاقه من رجال الشرطة، فكان على المحتسب مراقبة الأسواق ليلاً، ويصاحبه مساعديه من رجال الشرطة (الرُقباء) وكانت الرقابة الليلية مقسمة بينه وبين الفيكونت بشكل تبادلي، كُلَ عليه السهر ليلة في السوق لمنع السرقة،(34) فكان الفيكونت مسئولاً عن حفظ الأمن في المدينة مسئولية تامة، فكان يطوف بشوارع المدينة ليلاً في شكل دوريات شرطية للقبض على المجرمين.(35)

كان القضاة في محاكم السكان يجلسون للفصل في الخصومات، ويفد إليهم سكان المدن الصليبية بمشاكلهم المختلفة من قضايا عقارية، وسرقة وجنايات كبري، وقد جاء مراقب شرطة المدينة ومعه المجرمون ليعرض على المحكمة التُهم الموجهة ضدهم.(36) وعندما تولى (جيفري سارجنيس) عام (658هـ/1259م)، قضاء مملكة عكا، عاقب عددًا كبيرًا من محترفي السرقة بالسجن والقتل.(37)

وكانت عملية الحد في السرقات أحيانًا تتطلب سرعة تدخل الملك شخصيًا، فعندما سمع رئيس دير (بودمين) في إنجلترا عن سرقة رفات القديس (بيترويك) أخذ معه بعض البطاركة والنبلاء وذهبوا جميعًا إلى الملك هنري الثاني ملك انجلترا، وطلبوا منه التدخل في الموضوع، وافق الملك وكتب خطابا يطلب فيه من مُلاك الرفات الجدد إعادتها إلى كنيسة بودمين، وبعد جدل حول هذا الموضوع مع دير بودمين، استطاع رجال دير بودمين الحصول على رفات القديس بيترويك مرة أخرى.(38)

4/1–عقد المعاهدات

في سنة (506هـ/1112م)، أرسل الملك بلدوين إلى الأمير مسعود والى مدينة صور يلتمس منه المهادنة والموادعة والمسالمة لتحسم أسباب الأذيَة عن الجانبين، فأجابه إلى ذلك، وانعقد الأمر بينهما على السداد واستقامت الأحوال على المراد، وأمنت السابلة للمترددين والتجار والمسافرين الواردين من جميع الأقطار، وتأمين السوابل من شر المفسدين.(39) حيث كان أسلوب المعاهدات من الأساليب المعمول بها في أوروبا أيضًا، ففي سنة (548هـ/1153م)، عُقدت معاهدة بين الملك الإنجليزي (ستيفن) والدوق (هنري) في (وولنغفورد) جاء فيها: أما اللصوص وقُطاع الطرق

---

(33) جوانفيل، جان دي جوانفيل، (1968)، ص213.

(34) الطحاوي، حاتم، (1999)، ص153.

(35) البنا، عبد الحافظ، (2007)، ص162.

(36) براور، يوشع، (1981)، ص136.

(37) رحيل، محمد فوزي، (2009)، ص212.

(38) Burke, Gina Kathleen Burke, (2002), P.36.

(39) ابن القلانسي، (1908)، ص188–190.

فستكون عقوبتهم المشانق والإعدام.(40)

وفى سنة (515هـ/1121م)، كان أرمن منطقة كركر يتلصصون في أطراف حصن زياد وبولا وملطية، فأرسل بُلك بن أرتق إلى ميخائيل بن قسطنطين الأرمني صاحب كركر يعده بأن يؤدي له كل سنة ألف حمل حنطة، وثلاث قرى من قراه، بشرط أن يمنع أصحابه عن التلصص، فأقسم له ميخائيل في ذلك غير مرة، ولكنه حنث في قسمه، فكانت الحنطة تصل إليه، ولصوصه يواصلون إحراق القرى،(41) ولم يفي له بعهده.(42)

وعقب فشل (رينو دي شاتيون) المعروف بأرناط في غارته الفاشلة في البحر الأحمر على بلاد الحجاز، طلب الأمان من صلاح الدين الأيوبي، ووفقًا للهدنة المعقودة بين صلاح الدين من جهة وبين الصليبيين وأرناط من جهة أخرى، أخذت القوافل الإسلامية –سواء للحج أو للتجارة– تمر بصحراء الأردن، بعد أن أمنت الطريق بين مصر والشام.(43)

2–دور الكنيسة في الحد من اللصوص

إن السرقة بكافة أنواعها من الأشياء المُحرَمة في العقيدة المسيحية، وبالتالي عندما زاد نشاط اللصوص في عصر الحروب الصليبية، كان من الطبيعي أن تبذل الكنيسة ورجال الدين بها مجهودات كثيرة، للحد من نشاط هؤلاء المجرمين، وكما تعددت جهود الدولة في التصدي لهم، تعددت جهود الكنيسة في الحد من نشاط اللصوص على النحو الآتي:

1/2–الحرمان الكنسي

إن السرقة ليست سلوكًا مناسبًا في نظر القانون الكنسي،(44) ومن ثَمَّ كان في مقدمة الجهود الكنسية للحد من اللصوص، الحرمان الكنسي (Excommunication) وهو عقوبة تأديبية يُفصل به المذنب عن المشاركة في الأعمال الكنسية.(45) فكانت الكنيسة تحكم على مرتكبي جرائم السطو بالحرمان من رحمة الكنيسة، وقد جاهدت الكنيسة كثيرًا للحد من هذه الحوادث، ولكنها لم تنجح كثيرًا.(46)

عندما اشتدت المجاعة بالصليبيين أمام أسوار مدينة أنطاكيا، صدر قرار بالحرمان ضد كل ضروب الاحتيال من سرقة الغير، ونهبهم وسلبهم.(47) ووصل الأمر بالكنيسة أنها كانت تعقد محاكمات خاصة بها للحد من السرقة بين رعاياها، فقد عاقبت أحد محاكم الأديرة سبع نساء بالدفن وهن أحياء مقابل جريمة السرقة، وكان أشد العقوبات في العصور الوسطى هي التي أنزلتها الكنيسة بما سمَتهم الخارجين على الكنيسة، وكان العقاب بالنفي يطبق في جريمة

---

(40) ويندوفر، روجر أوف، (2000)، ج39/ ص178.

(41) ابن العبري، (1991)، ص138.

(42) ميخائيل، السوري الكبير، (1995)، ج5/ ص117.

(43) سعيد عاشور: الحركة الصليبية. ج2/ ص78.

(44) Burke, Gina Kathleen Burke, (2002), P.41.

(45) اليسوعي، صبحي، (1998)، ص188.

(46) عمران، محمود سعيد، (1998)، ص296.

(47) الصوري، وليم الصوري، (1991)، ج1/ ص301.

القتل والسرقة.[48]

ولم تكن سرقة الرفات والذخائر المقدسة – على الرغم من تشجيع بعض الكنائس على ذلك – من الأفعال المقدسة، وكان اللصوص يعاقبون على مخالفتهم للقوانين المجتمعية، وعصيان الأوامر الناهية عن ذلك.[49]

2/2–عقد المجامع الكنسية

المجمع عبارة عن مجلس يُدعى إليه جميع الأساقفة، ويرأسه أسقف –بابا– روما بنفسه أو على يد مفوضين، للبحث في القضايا الكبرى، أو للقيام ببعض الأعمال ذات الطابع الرسمي الخاص.[50] فكان من الجهود الكبيرة التي قامت بها الكنيسة في الحد من اللصوص، عقد هذه المجامع الدينية، وبما أن هذه المجامع كانت لا تعقد أساسًا إلا للقضايا الكبرى، فلا شك أن عقد هذه المجامع لمناقشة الأساليب العملية للتصدي لهؤلاء المجرمين، يُعَدّ من أكبر الأدلة على انتشار اللصوص في ذلك العصر.

إن أول مجمع وصلت قوانينه الكنسية، هو مجمع (شارو سنة 379هـ/989م) فقد اجتمع الأساقفة المُشرَعين والكهنة والرهبان والعلمانيين من الجنسين، وكان هدف الاجتماع هو استئصال شأفة النشاط الإجرامي. وكان من ضمن قرارات هذا المجمع ما يلي:

1- إذا ما قام أي إنسان بمهاجمة الكنيسة المقدسة، أو أخذ منها أي شيء بالقوة، ولم يجر تقديم تعويض، فإنه سوف يُحرم من الكنيسة.

2- إذا ما نهب أي شخص حملانًا أو ثيرانًا أو حميرًا أو أبقارًا أو أغنامًا أو خنازيرًا من الفلاحين أو الفقراء، وإذا تخلف ذلك الشخص عن التعويض عن كل شيء، فإنه سوف يحرم من الكنيسة.

3- إذا ما قام أي شخص بسرقة أو باحتجاز أو بضرب قسَ أو شماس أو أي رجل من الكهنة، لا يحمل سلاحًا، فإذا لم يبادر بتسوية الأمر، فسوف يجري اعتباره مستبعدًا من الكنيسة.

فقد كانت حماية الكنيسة والأملاك الكنسية، وحماية أكابر الكنيسة، وحماية الماشية، والفلاحين والفقراء، هي بؤرة التركيز الأولى لجميع المجامع الساعية إلى إقرار سلام الرب، وقد اتسعت الحماية لتشمل تقريبًا جميع السكان غير المسلحين، لتشمل الراهبات والأرامل واليتامى والنساء المسافرات ومرافقيهن والتجار.[51] وقد دعا إلى عقد هذا المجمع (جنبالد) كبير أساقفة (بوردو).[52]

على الرغم من أن هذا المجمع قد عُقد قبل اندلاع الحروب الصليبية، إلا أنه يدلل على فئات اللصوص الذين كانوا في أوروبا من جميع طوائف المجتمع، كما تُبيَن لنا نوعية المسروقات، التي ذكرت آنفًا.

وفى سنة (513هـ/1120م)، عُقد مجلس – مجمع – في مدينة نابلس، بناء على طلب من (جورموند) بطريرك مملكة بيت المقدس الصليبية، الذي طلب من الملك بلدوين الثاني (525هـ/1131م) وكبار رجال الدين بالكنيسة،

---

(48) عمران، محمود سعيد، (1998)، ص82.

(49) Burke, Gina Kathleen Burke, (2002), p.13.

(50) اليسوعي، صبحي، (1998)، ص436.

(51) ماستناك، توماش، (2003)، ص18–19.

(52) ماستناك، توماش، (2003)، ص66.

وإشراف المملكة من النبلاء، وضرورة سرعة إجراء ذلك المجمع، وقد اتخذ المجمع قرارات صارمة لمواجهة تفشي الجريمة.[53]

كانت قرارات مجمع نابلس رادعة للصوص، للحد من تفشي تلك الجريمة على نطاق واسع، حتى أن المواد من الثالثة والعشرين إلى الخامسة والعشرين خُصصت لمقاومة تلك الجريمة. فقد نصَت المادة الثالثة والعشرين على أنه: إذا ما بلغ ثمن المسروقات أقل من ثلاثة دنانير بيزنطية، يُكوَى الفاعل في وجهه ويُجرَس في المدينة، أو المكان الذي يعيش فيه، وترد المسروقات إلى صاحبها، أما إذا بدده السارق، فمن حق صاحب المسروقات أن يسترق ذلك السارق، وإذا ما عاد لنفس الجُرم تُبتر يده ورجله. أما المادة الخامسة والعشرون، فقد خصصت لعقوبة مَنْ يقترف هذا الجرم من النبلاء، ونص على رفع أمر النبيل إلى الملك للنظر في أمره دون بتر أعضائه، وتشير هذه المادة إلى الطابع الطبقي للقانون الذي ميَز بين العامة والنبلاء، فالعامي تُبتر أعضائه، أو يسترق، أما النبيل، فالأمر إلى الملك دون البتر.[54]

وفى سنة (575هـ/1179م)، عقد في روما مجمع برئاسة البابا (إسكندر) في اللاتيران، وجاء تحت تسعة وعشرين عنوانًا، منها قُطَاع الطرق والنهابين في (برابانت) الذين أضروا بالمؤمنين، وألا يتجرأ أحد على سرقة الذين تجنح سفنهم.[55]

3/2 –الجماعات الدينية العسكرية

من الجهود التي بذلتها الكنيسة للحد من أعمال اللصوص في عصر الحروب الصليبية، حث فرسان الجماعات الدينية العسكرية للتصدي لهؤلاء المجرمين. عندما تم تأسيس جماعة الداوية (فرسان المعبد) أوصاهم البطريرك والأساقفة الآخرون أن يبذلوا ما تسعفهم به طاقاتهم لحفظ المسالك والدروب العامة، وجعلها آمنة من تهديد اللصوص وقُطاع الطرق، مع بذل العناية الخاصة لحماية الحجاج الصليبيين.[56]

كان المسلمون يعتبرون الفرنجة أعداء ألداء لدينهم، فكانوا يغيرون على الغزاة وينهبونهم كلما أمكن ذلك، لذا حين سمع بضعة فرسان عن قطع الطرق، وضعوا خطة كي يكرسوا أنفسهم أساسًا للدفاع عن الرَحالة وسلامة الطرق، ولحماية الضريح المقدس.[57]

كان الناس يقصدون بيت المقدس لزيارة الأماكن المقدسة، وكان بعض اللصوص وقُطاع الطرق ينصبون الكمائن للحجاج الغافلين، ويقومون بنهب بعضهم، ويقتلون بعضهم الآخر، فعزم بعض الفرسان الأتقياء بالدفاع عن هؤلاء الحجاج وحمايتهم من خطر اللصوص سالفي الذكر، والعمل على حراسة الطرق العامة.[58] فقد كان هدف الداوية الأول من أجل التخلص من ذنوبهم، تنظيف الطرق من اللصوص، وهي الطرق التي كان يتوجب على الحجاج

(53) أحمد، عبد الله أحمد، (2016)، ص175.

(54) رحيل، محمد فوزي، (2009)، ص212.

(55) ويندوفر، روجر أوف، (2000)، ج39/ ص297–298.

(56) الصوري، وليم الصوري، (1991)، ج1/ ص345.

(57) هوارث، ستيفن، (2013)، ص48.

(58) الفيتري، يعقوب الفيتري، (1998)، ص89–90.

عبورها، وهم على طريقهم إلى القدس.(59)

أقام الداوية قلعة الحجاج، وأُقيم فيها برج كان السبب في ذلك وجود العصابات التي كانت تهدد الغرباء الذين كانوا يصعدون إلى مدينة القدس من قيسارية.(60)

كان فرسان الهيكل (الداوية) مستعدون ومسلحون في أي وقت من النهار أو الليل، قد يطلبون فيه، سواء للقتال أو لمصاحبة المسافرين.(61) أما قائد عام جماعة الرهبان الداوية العسكرية في مدينة القدس، فقد كان مسئولاً عن حماية الحجاج عبر الطريق ما بين بيت المقدس ونهر الأردن، وكان له موكبه الدائم الذي خصص له فيه عشرة من الفرسان لمصاحبته باستمرار، ولمساعدته في أداء واجباته المختلفة، كمدافعين عن المسافرين عبر الطريق.(62)

3-دور المجتمع في التصدي لأعمال اللصوص

كانت مسألة حفظ الأمن وحراسة الأسواق وإدارتها في الأحياء الإيطالية في بلاد الشام قد جرت العادة فيها منذ البداية على أن الجاليات الإيطالية لها وحدها حق تعيين رجال الأمن من رعاياها في أحيائهم في المدن الصليبية، كما تقرر ترك أمر الإشراف على الأسواق في الحي البندقي لرجال الأمن البنادقة أنفسهم.(63) وهذا الأمر يشبه حاليًا شركات الأمن الخاصة التي تكون إدارتها إدارة مدنية، وتقوم بتقديم خدماتها الأمنية من الحراسة وغيرها لفئات المجتمع بأجر معلوم.

يبدو أن الحراسة الخاصة كانت منتشرة في عصر الحروب الصليبية، خوفًا من اللصوص وقُطاع الطرق، يقول الرَحالة الروسي دانيال الراهب عن تجواله في الأراضي المقدسة:(64) "استيقظنا مبكرين لكي نتقدم إلى بيت لحم، وسرنا تحت حماية أحد زعماء المسلمين حتى بيت لحم، وقد صحبنا إلى كل مكان، وبدون مساعدته لم يكن ليتثنى لنا عبور تلك الأماكن، بسبب هجمات قُطاع الطرق في الجبال".

ويقول الرَحالة دانيال الراهب عن أهمية هذه الحراسة في التجول في بعض الأراضي المقدسة المليئة باللصوص وقُطاع الطرق:(65) "إنه لمن الخطر أن تعبر تلك المناطق دون حراسة جيدة، وكانت هذه المرة تنقصنا حيث إننا كُنا ثمانية أشخاص فقط، دون سلاح، ولكننا وضعنا الثقة في الله محروسين برحمته".

كانت طائفة الأرمن تقوم بإجراء آخر للحد من اللصوص، فقد كانوا يقومون بإخصاء اللصوص الذين يرتكبون جرائم السرقة، وكذلك الأشرار الذين يقترفون أنواعا أخري من الجرائم، على الرغم من قلَة ضررها، وكانت عملية الإخصاء تنفذ بحق المجرمين حتى لا يتمكنون من إنجاب أطفال يقلَدونهم بأفعالهم الخاطئة.(66) ولا شك أن هذا

---

(59) ويندوفر، روجر أوف، (2000)، ج39/ ص127.

(60) بادربورن، أولفر أوف، (1998)، ج33/ ص33.

(61) هوارث، ستيفن، (2013)، ص77.

(62) بوس، أدريان، (2010)، ص69-70.

(63) البنا، عبد الحافظ، (2007)، ص172.

(64) الراهب، دانيال، (1992)، ص97.

(65) الراهب، دانيال، (1992)، ص123.

(66) بورشارد، (1995)، ص179.

العقاب من قبل الأرمن للصوص، من الأمور التي لا تقرها الأديان السماوية، مما يدل على أنه كان عقابًا نابعًا من العُرف الاجتماعي وقتئذ.

أحيانًا كان المنقذ الوحيد من هجوم اللصوص، الأهالي أنفسهم، ففي سنة (685هـ/1286م)، هجم اللصوص على مدينة الموصل، ولم يهلك من أولئك الملاعين سوى عشرة فقط، كانوا يطوفون بالأسواق التي لا منفذ لها، فوثب إليهم الأهالي وقتلوهم رجمًا بالحجارة.(67)

وفى سنة (688هـ/1269م)، تجرأ واحد من سكان (دنستيبل) كان قد اعتاد على أعمال قطع الطرق، واستولى على اثني عشر ثورًا، كانت عائدة إلى سكان بلدة (كالني Calne) وقام أصحاب المواشي بمطاردة اللص حيث اعتقلوه، ثم أعلن بموجب أحكام المرسوم الملكي الإنجليزي حكم الإعدام عليه، وجرى إعدامه.(68)

ومن الروايات الطريفة التي تفيد بتصدي عناصر المجتمع للصوص بأنفسهم لإنقاذ ممتلكاتهم الخاصة من هؤلاء المجرمين، ما حكاه أسامة ابن منقذ الذي يقول عن ذلك:(69) "كنت مع الأمير معين الدين بدمشق، فأتاه فارس فقال: قد أخذ الحرامية قافلة في العقبة حاملة خام، فقال لي: نركب إليهم. قلت: الأمر لك، أُمر الشاويشة تستركب العسكر معك. قال: أي شيء حاجتنا إلى العسكر؟ قلت: ما يضرنا من ركوبهم؟ قال: ما نحتاجهم. وكان من أشجع الفرسان، ولكن قوة النفس في بعض المواضع تفريط ومضرَة".

"فركبنا في نحو من عشرين فارسًا، فلما أن ضحونا نفَذ فارسين كذا وفارسين كذا وفارسا كذا، يكشفون الطرقات. وسرنا نحن في قلَة فحانت صلاة العصر. فقال لغلام لي: أشرف مغربا إلى أن نصلَي، فما سلَمنا إلا والغلام يركض. قال: هذه الرجَالة – يقصد الحرامية – فقال معين الدين: اركبوا. قلت: أمهل علينا نلبس، فإذا رأيناهم رميناهم برؤوس الخيل وطعناهم فما يدرون كثير نحن أو قليل. قال: إذا وصلنا إليهم لبسنا. وركب وسرنا إليهم، فلحقناهم في وادي حلبون – من قرى دمشق – وهو واد ضيق، وهم في سبعين رجلاً بالقسيَ والنبال. فلما وصلناهم، كان غلماننا خلفنا بسلاحنا لا يصلون إلينا وأولئك قوم منهم في الوادي ومنهم قوم في سفح الجبل. فظننت أن الذين في الوادي من أصحابنا فلَاحي الضياع قد فزعوا خلفهم، والذين في سفح الجبل هم الحرامية. فجذبت سيفي وحملت على الذين في سفح الجبل، فلما طلع الحصان في ذلك المطلع الوعر إلا بآخر روحه، فلما صرت إليهم وحصاني قد وقف ما بقي يندفع، استوفي واحد منهم سهمه في قوسه ليضربني، فصحت عليه وتهددته، فمسك يده عنَي، وعدت وانزلت الحصان وما أصدَق أخلص منهم".

"وطلع الأمير معين الدين إلى أعلى الجبل يظن أن هناك من الفلاحين من يستنفرهم، وصاح إليَ من أعلى الجبل: لا تفارقهم حتى أعود. وتواري عنا، فرجعت إلى الذين في الوادي وقد علمت أنهم الحرامية، فحملت عليهم وحدي لضيق المكان فانهزموا، ورموا ما كان معهم من الخام، وخلَصت منهم بهيمتين كانتا معهم عليهما خام أيضا، وطلعوا إلى مغارة في سفح الجبل ونحن نراهم وما لنا إليهم سبيل. وعاد الأمير معين الدين آخر النهار وما وجد من

---

(67) ابن العبري، (1991)، ص352.

(68) باريس، متي، (2001)، ج40/ ص1840-1841.

(69) ابن منقذ، أسامة، (1930)، ص152-153.

يستنفره، ولو كان معنا العسكر كنا ضربنا رقابهم، واستخلصنا كل ما معهم".

خاتمة:

بما أن اللصوص كانت لهم مهارة عالية في ممارسة القتال، وكانوا من حملة السلاح، فكان من الطبيعي أن تكون أهم وأول وسيلة من وسائل الدولة في التصدي لهم، هي القيام بالحملات العسكرية عن طريق الجيوش، أو الحملات الأمنية التي يقوم بها رجال الشرطة، أو عناصر قليلة من الجيش، حسب قوة هؤلاء المجرمين وحسب عددهم.

من الأساليب الأخرى التي اتبعتها سلطات الدولة للتصدي للصوص في عصر الحروب الصليبية، بناء القلاع والحصون في النقاط الحصينة، إما لحماية المدنيين من الأهالي، وإما لمراقبة الطرق والممرات لحماية المسافرين والتجار من خطر هؤلاء المجرمين، وبالطبع كان يتم تزويد هذه القلاع والحصون بالعدد الكافي من الجنود للتصدي للصوص وقُطاع الطرق.

كانت السلطة الحاكمة في الجانب الصليبي وكذلك الإسلامي، مخول لها حق سنَ القوانين، وتقديم المجرمين من اللصوص إلى المحاكمة، وإن اختلفت العقوبة حسب اختلاف النظام الحاكم ومعتقده، ولا شك أن هذه القوانين وما نتج عنها من عقوبات كانت من أهم الأساليب التي مارستها السلطة الحاكمة للحد من نشاط اللصوص.

كان لعقد المعاهدات بين الأطراف المختلفة في عصر الحروب الصليبية من الأساليب التي لجأت إليها الدولة للتصدي للصوص، وهو ما يشبه اليوم بالاتفاقية الدولية بين شرطة الكثير من دول العالم (الإنتربول) كأن يتولى كل طرف من الأطراف السياسية مهمة القضاء على ما عنده من لصوص، كي لا يترکبوا جريمة السرقة في أراضي الطرف الآخر.

تعددت جهود الكنيسة في الحد من نشاط اللصوص، فكان هناك عقوبة الحرمان الكنسي، وقرارات المجامع الكنسية من أجل استئصال شأفة النشاط الإجرامي، بالإضافة إلى تصدي فرسان الجماعات الدينية لأعمال المجرمين.

أوضحت الدراسة أن عناصر المجتمع المختلفة خلال عصر الحروب الصليبية كان لهم دور كبير في التصدي للصوص، خاصةً في الحالات التي يكون فيها هجومهم من تشكيلات صغيرة، أو في وضح النهار، أو في حال تقاعس السلطات الأمنية عن نجدة الأهالي، فلم يكن أمامهم من سبيل للدفاع عن ممتلكاتهم الخاصة، سوى الدفاع عنها بأنفسهم.

قائمة المراجع:

- ابن العبري، غريغوريوس الملطي، (1991)، المعروف بابن العبري (ت. 685هـ)، تاريخ الزمان. ترجمة/ إسحق أرملة، بيروت، دار المشرق.
- ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن القلانسي، (1908)، ذيل تاريخ دمشق، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين.
- ابن منقذ، أسامة بن منقذ، (1930)، الاعتبار. تحقيق/ فيليب حتَي، الولايات المتحدة الأمريكية، مطبعة جامعة برنستون.
- أبو شامة، (1997) عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة. ت 665هـ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق/ إبراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- أحمد، عبد الله أحمد، (2016)، الجرائم والعقوبات في المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرن (6 – 7هـ/ 12-13م)، القاهرة، دار الآفاق العربية.
- آخن، ألبرت فون، (2007)، تاريخ الحملة الصليبية الأولى. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، دار الفكر.
- بادربورن: أوليفر أوف بادربورن، (1998)، تاريخ دمياط، ترجمة د/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، دار الفكر.
- باريس، متي باريس، (2001)، التاريخ الكبير. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، دار الفكر.
- بالار، ميشيل، (2003)، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر. ترجمة/ بشير السباعي، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث.
- براور: يوشع براور، (1981)، عالم الصليبيين. ترجمة د/ قاسم عبده قاسم، القاهرة، دار المعارف.
- براور، يوشع براور، (2001)، الاستيطان الصليبي في فلسطين. ترجمة د/ عبد الحافظ البنا، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث والنشر.
- البنا: عبد الحافظ البنا، (2007)، أسواق الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، دار عين للدراسات والنشر.
- بورشارد: بورشارد من جبل صهيون، (1995)، وصف الأرض المقدسة. ترجمة د/ سعيد البيشاوي، الأردن، دار الشروق.
- بوس: أدريان بوس، (2010)، مدينة بيت المقدس في عصر الحروب الصليبية. ترجمة/ على السيد على، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- التطيلي، بنيامين التطيلي، (2002)، رحلة بنيامين التطيلي. ترجمة/ عزرا حداد، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.
- جوانفيل: جان دي جوانفيل، (1968)، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة/ حسن حبشي، القاهرة، دار المعارف.

- الراهب، دانيال الراهب، (1992)، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، ترجمة/ سعيد البيشاوي، الأردن، مؤسسة مهنا.
- رحيل، محمد فوزي رحيل، (2009)، نهاية الصليبيين، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث والنشر.
- الصوري، وليم الصوري، (1991)، الحروب الصليبية، ترجمة د/ حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الطحاوي، حاتم، (1999)، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، القاهرة، دار عين للدراسات والبحوث والنشر.
- عمران: محمود سعيد عمران (1998)، حضارة أوروبا في العصور الوسطي . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية 1998م.
- الفيتري، يعقوب الفيتري، (1998)، تاريخ القدس. ترجمة/ سعيد البيشاوي، عمان، دار الشروق.
- قاسم، عبده قاسم، (1999)، الخلفية الأيديولوجية للحروب الصليبية، القاهرة، دار عين للدراسات والنشر.
- قاسم، قاسم عبده قاسم (1990)، ماهية الحروب الصليبية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة.
- ماستناك: توماش ماستناك، (2003)، السلام الصليبي. ترجمة/ بشير السباعي، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.
- مجهول: مجهول، المؤرخ الرهاوي المجهول، (د.ت)، تحقيق د/ سهيل زكار. الموسوعة الشامية، دمشق، دار الفكر.
- مجهول، مجهول، (2000)، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد)، ترجمة/ حسن حبشي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ميخائيل، ميخائيل السوري الكبير، (1995)، روايات المؤرخ ميخائيل السوري الكبير. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، دار الفكر.
- هوارث، ستيفن، (2013)، فرسان الهيكل. ترجمة/ إبراهيم محمد إبراهيم، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- ويندوفر، روجر أوف، (2000)، ورود التاريخ. ترجمة/ سهيل زكار، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، دار الفكر.
- اليسوعي، صبحي، (1998)، معجم الإيمان المسيحي، بيروت، دار المشرق.
- يوسف، جوزيف نسيم، (1989)، العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولي، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.
- Burke: Gina Kathleen Burke, The justification for relic thefts in the middle ages. Miami University Oxford, Ohio.2002.